



توقير أهل العلم في الإسلام

وبعد أيها الأحباب: فالعلم أشرف ما يتفاضل به الناس قال تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} (الزمر: 9)، والعلم أفضل ما يُعطى العبد في الدنيا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين]، وهو شرف يتمناه كل الناس كما قال بعض السلف: "كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، وكفى بالجهل ذمّاً أن يتبرأ منه من هو فيه"، والعلم طريق إلى الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم: [من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة]، وللعلماء الذين هم حملة العلم فضل كبير وشرف عظيم فهم صفوة الناس كما قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْتَشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} (فاطر: 28)، وهم أولو الأمر الذين أوجب الله تعالى طاعتهم كما قال جل وعلا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} (النساء: 59)؛ لأنهم ورثوا خير ميراث من أفضل مورث كما قال صلى الله عليه وسلم: [إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر]؛ وذلك لأن العلماء حراس الدين وحماته كما قال صلى الله عليه وسلم: [يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين]، وحال الدنيا لا ينصلح بدون العلماء، وعن ذلك يقول ابن القيم عليه رحمة الله تعالى: "هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، يهتدي بهم الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وللعلماء علينا حقوق وواجبات كما قال صلى الله عليه وسلم: [ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه] ومن أهم حقوقهم:

1. إظهار الهيبة لهم؛ قال الأعمش: "كنا نهاب العالم كما يُهاب الأمير"، وقال الربيع بن سليمان: "والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي هيبة له".
2. توقيرهم بالخدمة وإكرامهم؛ عن الحسن قال: "رئي ابن عباس رضي الله عنهما يأخذ بركاب دابة أبي بن كعب رضي الله عنه، فقيل له: أنت ابن عم رسول الله-صلى الله عليه وسلم- تأخذ بركاب رجل من الأنصار؟ فقال: إنه ينبغي للحبر أن يُعظَّم ويُشرف".
3. التواضع لهم، وذلك من تعظيم الله تعالى لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط].
4. ومن حقوقهم التأدب معهم في حضرتهم، وفي غيبتهم، وحفظ أعراضهم.

ورحم الله السلف الصالح الذين حفظوا علماءهم في حياتهم وبعد مماتهم، يقول أبو حنيفة رضي الله عنه: "ما صليت صلاة منذ مات حماد بن أبي سليمان إلا واستغفرت له مع والدي، وإني لأستغفر لمن تعلمت منه علماً"، وقال يحيى البيكندي: "لو قدرت أن أزيد في عمر البخاري من عمري لفعلت؛ فإن موتى يكون موت رجل واحد، وموته ذهاب العلم".

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

كتبه فضيلة الشيخ/ محمد محمدي عبد المطلب- مبعوث وزارة الأوقاف المصرية للبرازيل.